



معالم صنهاجية

## تيدغين: أسطورة أعلى قمم جبال الريف

شريف أدرداك: باحث في اللغة و الثقافة الأمازيغية

### تقديم

ارتبط اسم "تيدغين" بأعلى قمة بجبال الريف، لهذا فالاهتمام الذي حضي به هذا الجبل لم يخرج عن نطاق الدراسات الجغرافية و إن كانت قليلة جدا كحال أي شيء ينتمي لمنطقة "صنهاجة اسراير" المنسية في جبال الريف. لكن ما لا يعرفه الكثير هو أن "تيدغين" يرتبط عند سكان "صنهاجة اسراير" بأبعاد أنثربولوجية جعلهم ينسجون حوله أساطير و يربطون عادات دينية بهذا الجبل في مشهد ينصهر فيه الأسطوري باللاهوتي قل نظيره في المجتمعات الأخرى، و هذه ميزة تميز أمازيغ "صنهاجة الريف" الذين يشكلون حقلا غنيا للدراسات الأنثربولوجية بامتياز.



## 1. تيدغين : امرأة أسطورية أعطت اسمها لأعلى جبل بالريف

### 1. تيدغين ... الجبل

يقع جبل "تيدغين" (Tidighin) ضمن سلسلة جبال الريف الممتدة في شكل قوس على طول الساحل المتوسطي من مضيق جبل طارق غربا إلى نهر ملوية شرقا، و يعتبر أعلى قمة بها ب 2456 مترا.

تتعرض بشكل عام المناطق المحاذية لهذا الجبل لكميات هامة من الأمطار تتجاوز 1000 ملم في السنة، الأمر الذي يسمح بانتشار غطاء غابوي و نباتي هام بالمنطقة يتمثل أساسا في انتشار كثيف لأشجار الأزر (أمكود) و البلوط و الصنوبر (ثايدا) ... إضافة لذلك، فالمنطقة معروفة بوفرة و عذوبة مياهها لأن الشبكة المائية بها غنية، فهي تتمثل أساسا في الوديان و منابع المياه و المياه الجوفية حيث تعتبر أغلب الوديان النابعة من جبل "تيدغين" روافد لواد ورغة (أسيف أوراغ :الواد الأصفر).

يفصل جبل "تيدغين" بين ثلاث قبائل صنهاجية هي: آيت بونصار و آيت سداث و إكوثامن (كتامة)، فجل تيدغين يعني بأمازيغية صنهاجة اسراير (تصنهاجيت) الحفر و الثقوب، و هو مشتق من فعل "إدغ" أي حفر و ثقب، و قد سمي بهذا الاسم نظرا لتواجد حفر و ثقوب عديدة في صخور الجبل.

### 2. تيدغين : امرأة أسطورية أعطت اسمها لأعلى جبل بالريف

يحكى في قبيلة آيت بونصار الصنهاجية أن "تيدغين" هي امرأة كانت تطير، استقرت لأول مرة فوق مدشر "إبرقشيشن" من جهة مدشر "زاركات" حاليا، فسمعت في أحد الأيام امرأة تنادي على ابنها و تصيح بأمازيغية صنهاجة اسراير "آ موح" (يا محمد) ثلاث مرات، غير أن الابن لم يجبها فقامت الأم بالدعاء عليه الشيء الذي لم يرق "تيدغين" فحملت نفسها و طارت



لتستقر بجبل "تيدغين" الحالي، مقررة بذلك الانعزال و العيش وحيدة حيث قالت : "اللهم العيش دُ وفريش و لا إكْ وُبرقشيش" (أي: العيش فوق الصخور الشيسيتية التي يتميز بها جبل تيدغين خير من العيش مع شخص ينحدر من مدشر إبرقشيشن). و بذلك تكون المرأة الأسطورية هي من منحت اسمها لأعلى قمة بجبال الريف.

أما عند قبيلة "آيت سداث" و بالضبط في مدشر "أزيلا" فالسكان يحلفون باسم "تيدغين" حيث يقولون "وُحق يما تيدغين" (أي قسما بأمي تيدغين) و هذا يعني أن السكان المحليين يؤمنون بأن "تيدغين" هي امرأة أعطت اسمها لأعلى قمة بجبال الريف، و ما هذه المرأة سوى الجدة الكبرى لسكان "أزيلا" الذي يعتبر أقرب مدشر صنهاجي من قمة جبل "تيدغين". أما في المداشر الأخرى لفلس القبيلة "آيث سداث" فيسود اعتقاد مفاده وجود ضريح لولي صالح اسمه "سيدي غير" بجبل "تيدغين" و ما اسم هذا الأخير سوى تحريف لاسم "سيدي غير".

### 3. تيدغين: عادات و اعتقادات توارثها سكان "صنهاجة اسراير"

يعتبر جبل "تيدغين" مرتع عادة قديمة تسمى "اللاما" دأب الصنهاجيون بالريف في الماضي على إحيائها كل سنة، حيث كان يصعد سكان مداشر القبائل المجاورة للجبل (آيث بونصار، آيث سداث و إكوثامن) في مناسبة المولد النبوي و يقضون أسبوعا كاملا هناك.

خلال هذا الموسم يتم نحر الذبائح من طرف الوافدين على جبل "تيدغين"، فيما يجتمع "الطلبة" (حاملي كتاب الله) لقراءة القرآن طيلة أيام الموسم. كما تعتبر المناسبة فرصة للسكان المحليين لممارسة طقوس قديمة كإشعال الشموع على مدخل "الغار نوح" (كهف سيدنا نوح) الذي يوجد به آثار يد تسمى "أفوس نوح" (يد سيدنا نوح) حيث يسود اعتقاد لدى الساكنة الصنهاجية بأن سفينة سيدنا نوح مرت من المنطقة و عند وصولها لجبل "تيدغين" قام سيدنا نوح بترك آثار يد كعلامة على مروره هناك.



في قمة جبل "تيدغين" يوجد مسجد اختلفت بشأنه الروايات يسمى "تيمزغذا ن ربي" (مسجد الله)، فهناك من يقول بأنه أصبح مبنيا بفعل قوى خارقة، و هناك من يقول بأن امرأة (أغلب الظن أنها تيدغين) صرخت بقوة فاستجاب الله لصراخها فبنى المسجد الذي سمي بـ"تيمزغذا ن ربي" أي مسجد الله، لكن الرأي الراجح هو كون سكان المداشر المجاورة هي من قامت ببناء هذا المسجد. أسفل هذا المسجد توجد مغارة تسمى "تيمجيجكت" يوجد بداخلها ممر صخري يمر منه الناس ليقسوا طبيعة أفعالهم، فإذا استطاع الشخص المرور بسهولة من فتحة الصخرتين فإنه يعتبر من أهل الخير أما إذا لم يستطع المرور فهو يعتبر من أهل الشر حيث يستدعى "الطلبة" لقراءة القرآن عليه من أجل أن يفك أسرهم.

كما يتواجد بهذا الجبل صخرة يعتقد أنها تستعمل لعلاج آلام الظهر، حيث يضع الشخص المريض ظهره على هذه الصخرة مؤمنا بقدرتها على شفاؤه من آلام ظهره.

بعدما اكتسب موسم (اللاما) جبل "تيدغين" شهرة واسعة تحول المكان إلى وجهة سياحية، لهذا فكرت السلطات المحلية بعد الاستقلال في تحويل وجهة الموسم من أعلى الجبل إلى مركز "إسأكن" حيث كان يمتد على مدى ثلاثة أيام، غير أن هذا الموسم لم ينجح ليتوقف بداية السبعينات خصوصا مع انتشار زراعة الكيف في المنطقة مما أدى إلى اندثار العديد من المواسم (اللاما) التي كانت منتشرة في منطقة صنهاجة اسراير و التي لم يبقى منها سوى موسم "اللاما ن تماديت"<sup>1</sup> بقبيلة "آيت بونصار".

حاليا، لا يزال سكان المداشر الصنهاجية المحاذية لجبل "تيدغين" يصعدون في مناسبة المولد النبوي إلى قمة "تيدغين" لإحياء تلك العادة القديمة، غير أن مدة المكوث بالجبل تقلصت حيث أصبحت لا تتعدى ثلاثة أيام على أكثر تقدير تبتدئ من ليلة يوم الاحتفاء.

<sup>1</sup> - يتم تنظيم هذا الموسم لإحياء لذكرى الولي "عبد الملك بن مروان" المدفون في مدشر "تماديت" بقبيلة "آيت بونصار" الصنهاجية.



## II. ذايغوث<sup>2</sup>: أسطورة جبل محاذي لجبل "تيدغين"

### 1. ذايغوث: رحلة متعبة من أجل الاستقرار

يحكى قديما أن إحدى السيدات الصالحات المحبات للسلام و السكون و العيش بعيدا عن التجمعات السكانية و صخبها و مشاكل ناسها كانت تسمى "ذايغوث"، يحكى أنها كانت تعيش بالمرج المسمى حاليا باسمها "إيمان ذايغوث" و تعني بأمازيغية صنهاجة اسراير "الشلحة" "مرج ذايغوث"، حيث عاشت حياة هادئة بين أحضان الطبيعة إلى أن جاء اليوم الذي سمعت فيه أصواتا بشرية قادمة من بعيد و مقترية من المرج. و لأنها محبة للانعزال و العيش وحيدة فقد قررت الرحيل عن مرجها الذي سكنته لسنين طويلة لتتجه صوب قمة الجبل المتواجد أعلى المرج و الذي سمي باسمها أيضا "أدرار ن ذايغوث"، هذا الجبل يصعب الصعود إليه و هو يطل على العديد من القمم المكونة لجبال الريف و يطل كذلك على عدة مداشر تابعة لقبيلة كتامة و متبوعة الجبل.

مرت الأيام و الشهور فصارت السيدة "ذايغوث" تسمع صوت الرعاة و ماشيتهم ترتفع و تقترب من قمة الجبل، فما كان منها إلا أن تقرر الرحيل مرة أخرى بعد أن تركت على إحدى حجارة البيت الصخري الذي سكنته آثار أصابع يدها و كأنها تترك بذلك علامة تشهد على استقرارها هناك، فسلكت الطريق الجبلية المؤدية إلى جبل "تيدغين" أو كما يحلو للبعض تسميته بـ "ذيعين" عبر غابات الأرز الموجودة بآيت عاكسي (بني عيسي) إلى أن وصلت إلى جبل "تيدغين" الذي كان آخر مكان تستقر به، و يرى البعض أنها جراء عناءها خلال رحلة تنقلها فقد ارتاحت لوهلة في المكان الذي يتواجد به حاليا مسجد إغي (إغيل) بآيت عاكسي (بني عيسي) و هو أشهر مساجد منطقة كتامة نظرا لكونه مسجدا و محكمة عرفية في نفس الوقت. كما يعتقد بعض سكان المنطقة بأن "تيدغين" ما هي إلا أخت لـ "ذايغوث" لذلك استقرت الأخيرة في الجبل المسمى باسم أختها (تيدغين).

<sup>2</sup> - هذه الأسطورة استقاها: محمد بن عبد الله أغزوت، المزداد سنة 1991 في مدينت "آيت احمد" بقبيلة "إكوثامن" (كتامة).



## 2. ذايغوث: مرتع عادة الاستسقاء "أغنجا"

في السنوات الماضية كانت النسوة من مدشري "آيت احمد" (بني احمد) و "آيت عاكسي" (بني عيسي) التابعين لقبيلة "إكوثامن" (كتامة) الصنهاجية يصعدن أثناء موسم الجفاف إلى قمة "ذايغوث" رفقة الأطفال لكي يقوموا بإحدى طقوس الاستسقاء القديمة المسماة "أغنجا". فقد كن يحضرن الكسكس هناك و يرددن أهازيج خاصة داعين من الله أن يغيثهم، أما الرجال في مدشر "آيت احمد" فقد كانوا يصلون صلاة الاستسقاء بملابس مقلوبة في المكان المسمى "إمزغيدان عمار وفتح". حاليا أصبح الصعود إلى جبل "ذايغوث" يقتصر فقط على نساء مدشر "آيت احمد" التابع لقبيلة "إكوثامن" (كتامة).

## 3. ذايغوث... و يستمر التساؤل

من غرائب الصدف أن نجد في جبل "ذايغوث" حجرا فيه آثار يد بشرية على شاكلة اليد الموجودة في "الغار ن نوح" بجبل "تيدغين" و المسمى "أفوس ن نوح"، كما أننا نجد بقبيلة "آيت احمد" الصنهاجية منطقة تسمى "ثامذا يغوث" (بركة ذايغوث) يوجد فيها مرج يسمى "أيمو ن ثامذايغوث" و هذا الاسم يذكرنا ب "إيمان ذايغوث" باكوثامن (كتامة) مما يجعلنا ننظر بأن جبل "تيدغين" لم يكن آخر محطة في رحلة "ذايغوث" أو أن "إيمان ذايغوث" لم يكن بداية رحلة "ذايغوث".

## خاتمة

إن التفكير الأمازيغي في مجمله هو تفكير أسطوري امتزج في غالبه بالتفكير اللاهوتي الشيء الذي أنتج لنا عادات و تقاليد تجمع بين الأسطوري و الديني في تمازج لا نجده إلا في الثقافات القديمة التي تعتبر الأمازيغية واحدة منها.